التَّمَسُّكُ بالقُرآن الكَرِيم وَأَثَرُه في حَيَاةِ المُسلِمِينَ

إعداد
د. عبد الرحيم بن محمّد المغذّوي
الأستاذ المشارك بكلّية الدّعوة
الجامعة الإسلاميّة - بالمدينة المنوّرة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء : ١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٧٠-٧١).

أما بعد :

فإن أي دعوة تشرف بما تدعو إليه ، وتزكو بما تحث الناس عليه، ولا ريب أن الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم ، هي أسمى المقاصد، وأنبل الفوائد، لأنها تتعلق بكتاب الله تعالى ، وكفى بذلك شرفاً ومقصداً.

أ - أهمية الموضوع، وأسباب الدراسة :

المسلم مطالب دائماً وأبداً بالتمسك بكتاب الله تعالى حق التمسك وتطبيق ذلك في حياته الخاصة والعامة ، وظهور آثار ذلك التمسك في سلوكه وتصرفاته.

ولكن الملاحظ –وبخاصة في عصرنا الحاضر– انصراف كثير من فئام المسلمين عن التمسك بكتاب ربهم تبارك وتعالى ، وإن أظهروا حبهم وتقديسهم له ، إلا أن الواقع المعايش يغاير ذلك، ومن هنا كان الاختلال الواضح ، في حياة المسلمين أفراداً ومجتمعات ، الأمر الذي أوقع الوهن في حياة الأمة على مختلف الأصعدة الدينية والدنيوية .

ولا ريب أن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد الدعوة الصريحة الواضحة للتمسك بالقرآن الكريم ، والآثار العظيمة التي سوف يجنيها الفرد والمجتمع من ذلك .

ومن هنا كان الدافع للكتابة في هذا الموضوع الدعوي القرآني الهام ، وكذا لعدم وجود مؤلف خاص في هذا الموضوع – على حد علمي – وإنما هنالك إشارات وذكر متناثر في بطون الكتب ، فأحببت أن أجمع شتات الموضوع ، وأبرز معالمه ، وأوضح مقاصده ليكون دعوة خيّرة للناس لعلهم يتقون .

كما أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت وأنا أقدم هذا البحث المتواضع للندوة المباركة بإذن الله تعالى (**ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه**) والتي يعقدها مشكوراً مأجوراً مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في الفترة ٤ / ٦ / ١٤٢١هـ إلى ٧ / ٦ / ١٤٢١هـ.

ب - تساؤلات البحث :

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الكبرى التالية :

أولاً : ماالمقصود بالقرآن الكريم ، وماأهمية التمسك به؟

ثانياً : ما مظاهر التمسك بالقرآن الكريم؟

ثالثاً : ما فضائل التمسك بالقرآن الكريم؟

رابعاً : ما آثار التمسك بالقرآن الكريم في حياة المسلمين الخاصة والعامة؟

ج - منهج البحث والخطوات البحثية :

استخدم الباحث منهج البحث الوصفي ، وكذا منهج البحث التحليلي التأملي ، للخروج بفوائد علمية هامة دقيقة .

كما اتبع الباحث الخطوات البحثية المختصرة التالية :

١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف .

٢- تخريج الأحاديث من مظانها ، وإيراد حكم العلماء عليها .

٣- توثيق الآثار والأقوال بإرجاعها إلى مصادرها .

٤- التأصيل العلمي للموضوعات البحثية، والخلوص إلى نتائج محددة .

د - خطة البحث بالتفصيل :

- **المقدمة** : وتضمنت الحديث عن أهمية الموضوع ، وبواعث دراسته ، وتساؤلات البحث الكبرى ، ومنهج البحث والخطوات البحثية ، والخطة بالتفصيل .

- **الفصل الأول**: الدَّعوة إلى التمسّك بالقرآن الكريم.

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقرآن الكريم، وأسمائه، وخصائصه.

المبحث الثاني: أهمية الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: مظاهر التمسك بالقرآن الكريم.

المبحث الرابع: فضائل التمسك بالقرآن الكريم.

- **الفصل الثاني**: آثار التمسّك بالقرآن الكريم في حياة المسلمين.

ويتضمن ستة مباحث:

المبحث الأول: الأثر الإيماني والتعبدي.

المبحث الثاني: الأثر الدعوي والإصلاحي.

المبحث الثالث: الأثر الخلقي والمسلكي.

المبحث الرابع: الأثر العلمي والفكري.

المبحث الخامس: الأثر الإنساني والحضاري.

المبحث السادس: الأثر الأمني الشامل.

- **الخاتمة**: وفيها خلاصة البحث، ونتائجه، والتوصيات.

- **الفهارس**.

هـ - ثناء الباحث على الله تعالى بما هو أهل له.

اللهم لك الحمد كله ، والشكر كله فأنت أهل الثناء والحمد ، والعزة والمجد ، والميسر لكل قصد .

اللهم لك الحمد أن جعلتنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك ، اللهم فأدم علينا نعمتك ، وارزقنا شكرها على الوجه الذي ترضاه عنا يارب العالمين .

اللهم نوِّر بالقرآن العظيم قلوبنا ، وافتح به أبصارنا ، واشرح به صدورنا، واكلأ به حياتنا ، وأنر به دروبنا ، واحفظنا به من أمامنا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، ومن فوقنا ومن تحتنا ، إنك على كل شيء قدير.

﴿ ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٨٦).

الفصل الأول
الدَّعـوة إلى التمسّك بالقرآن الكريم

ويتضمّن أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالقرآن الكريم ، وأسمائه ، وخصائصه .

المبحث الثاني : أهمية الدعوة إِلى التمسك بالقرآن الكريم .

المبحث الثالث : مظاهر التمسك بالقرآن الكريم .

المبحث الرابع : فضائل التمسك بالقرآن الكريم .

المبحث الأول
التعريف بالقرآن الكريم وأسمائه وخصائصه

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالقرآن الكريم لغةً .

اختلفت آراء أهل اللغة حول أصل كلمة (القرآن) وتعددت ، ويمكن لنا حصرها في اتجاهين رئيسين :

- **الاتجاه الأول** : وهو الذي يذهب إلى أن القرآن اسم لكتاب الله تعالى، وأنه غير مشتق من أي مادة سواء من (قرأ) أو من غيرها . وذلك لأنه علم على كتاب الله تعالى مثل التوراة والإنجيل . وعلى هذا فالقرآن غير مهموز .

- **الاتجاه الثاني** : وهو الذي يذهب إلى أن لفظ (القرآن) مشتق ، واختلف أصحاب هذا الاتجاه على أربعة أقوال :

١- أن القرآن مصدر لقرأت كالرجحان والغفران ، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر . وبه قال اللحياني وآخرون .

٢- وقال قوم منهم الأشعري : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء : إذا ضممت أحدهما إلى الآخر .

٣- وقال الفراء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ، ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن . وعلى القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية .

٤- وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فُعْلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء في الحوض أي جمعته.

قال أبو عبيدة : وسمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن ، وإنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

ثم قال الحافظ السيوطي بعد أن ساق تلك الأقوال: «والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي»[١] .

ويذهب الشيخ الزرقاني إلى خلاف ذلك ويؤكد أن القرآن مشتق فيقول: «أما لفظ القرآن فهو: في اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٧-١٨). ثم نُقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة. أما القول: بأنه وصف من القَرء بمعنى : الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل أي موضوع من أول الأمر عَلَماً على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا

---

(١) انظر تلك الأقوال في كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٦٧-٦٨، وانظر: مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، د. فاروق حمادة ص ١٥-١٦ ، والكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ، د. عبد العال سالم مكرم ص ١٢٦-١٢٧ .

مجرد من أل، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة، ولا من بُعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة. وعلى الرأي المختار: فلفظ قرآن مهموز ، وإذا حذف همزه، فإنما ذلك للتخفيف، وإذا دخلته «أل» بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف»[1].

والرأي الذي أميل إليه في أصل كلمة قرآن لغةً : أن القرآن اسم لكتاب الله تعالى ، وأنه غير مشتق، وهو ما ذهب إليه الإمام الشافعي وابن كثير وغيرهما .

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم اصطلاحاً :

القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، وحوى من العقائد والشرائع والمعارف والعلوم والآداب والأخلاق ما يجلّ الوصف عن ذكره ، وتضمّن بين طيّاته الإخبار عن الأوّلين والآخرين ، وما كان وما سيكون. ورسم للإنسان منهجاً واضحاً ، وطريقاً سليماً ، وصراطاً مستقيماً يسير عليه ، ويهتدي به ، ويدعو إليه.

كما اشتمل القرآن العظيم على الأمن والإيمان، والطمأنينة والتوحيد، وانشراح الصدور ، وهدوء الضمائر ، وراحة البال.

كما تميز كتاب الله تعالى بالإعجاز ، وتحدى الخلق أجمعين أن يأتوا بمثله أو بأقل سورة فيه، كما أنه متعبد بتلاوته ، ومحفوظ إلى يوم القيامة.

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ١ / ١٤.

وهنا نتساءل: من الذي يستطيع أن يعطي تعريفاً لهذا الكتاب الكريم الذي حوى كل تلك الأمور -وغيرها كثير؟-. ومن الذي يقدر على تحديده في تعريف من تعاريف البشر التي اصطلحوا على وجود حدود ومعالم لها؟ أو أنها جامعة ومانعة ؟ الحقيقة أنه من خلال تعاريف العلماء قديماً وحديثاً للقرآن الكريم، ومن خلال محاولات الكُتّاب والمؤلفين في هذا الصدد نجد أنها كلها لا تعدو توصيفاً للقرآن الكريم، دون إِعطاء تعريف دقيق محدَّد له، فنجد بعض التعاريف يركز على شيء واحد ويهتم به، مثل كونه كلام الله تعالى ، أو أنه معجز ، أو اشتماله على الأمور والمسائل العظيمة التي تهم المسلم في حياته ومآله وغير ذلك.

والحقيقة أن ذلك راجع إِلى عدم إِحاطة أولئك العلماء والمؤلفين لمضامين القرآن العظيم ، وعلومه وأحكامه ، وفضائله وفوائده ، وأنّى لهم ذلك .

يقول الشيخ مناع القطان رحمه الله: «والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص. بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً في الحس كأن تشير إِليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان، فتقول هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين... إِلى قوله: من الجنة والناس»[1].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان ص ٢٠-٢١، وأصل التعريف الذي أورده للدكتور محمد عبد الله دراز يرحمه الله في كتابه النبأ العظيم ص ١٤.

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز يرحمه الله: «أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تُعرف الحقائق الكلية فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في الاسم ولو توهماً، ذلك أن سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن في كونها وحياً إلهياً، فربما ظن ظان أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع»[1].

ومن التعاريف التي ذكرها العلماء والكتاب للقرآن الكريم ما يلي:

أ – قيل هو: اسم للمتلوّ المحفوظ المرسوم في المصاحف[2].

ب – وقيل هو: اسم لما بين الدفتين من كلام الله[3].

ج – وقيل هو: الكلام المنزّل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً[4].

د – وقيل في تعريفه هو: اللفظ المنزّل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس[5].

هـ – وقيل في تعريفه هو: كلام الله المنزّل على خاتم الأنبياء

---

(١) النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٤.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ١/ ٢٠ على حاشية الإتقان للسيوطي.

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ٥/ ٩٢.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد علي الشوكاني ١/ ٨٥.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ١/ ١٩.

والمرسلين ، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام ، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس[١].

و – وقيل أيضاً في تعريفه هو : كلام الله المعجز والموحى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي أُحكمت آياته ثم فُصلت من لدن حكيم خبير للتعبد بتلاوتها والعمل بمقتضاها في جميع جوانب الحياة، في كل زمان ومكان[٢].

ز – وقيل أيضاً في تعريفه : القرآن هو كلام الله المعجز ، ووحيه المنزّل على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته[٣].

ح – وقيل في تعريف القرآن هو : المنزّل على الرسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة[٤].

ط – وقيل أيضاً في تعريف القرآن الكريم هو: كلام الله المعجز المنزّل على رسوله محمد ﷺ بالوحي المنقول إلينا بالتواتر[٥].

والمتأمل في التعاريف السابقة يجد أنها إما مسهبة أو مقصرة أو

---

(١) التعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين ص ١١ .

(٢) نور من القرآن ، د. محمد الحسين أبو سم ص ١١ .

(٣) لمحات في علوم القرآن ، لمحمد الصباغ ص ٦ .

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١٧٤ .

(٥) معجم لغة الفقهاء ، د. محمد قلعجي وزميله ص ٣٥٩ .

متوسطة في توصيف القرآن وتعريفه ، ومهما قال القائلون إلا أنهم لن يبلغوا المراد الكامل للقرآن الكريم ، والمعنى الشامل لكتاب الله تعالى .

قال تعالى مخبراً عن كتابه العظيم : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء : ١٩٢-١٩٥) .

وقال تعالى أيضاً في كتابه الكريم : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم : ١) .

وقال تعالى أيضاً في كتابه العزيز : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٥٧) .

ومن خلال ما سبق يمكن أن أذكر تعريفاً أو قُل توصيفاً للقرآن الكريم فأقول هو : « كلام الله تعالى المعجز ، الموحى به إلى محمد ﷺ ، لينذر به الخلق أجمعين ، ويدعوهم إلى توحيد رب العالمين ، والمكتوب بين دفتي المصحف ، والمنقول إلينا بالتواتر ، والمتعبد بتلاوته ، والمحفوظ إلى آخر الدهر، والمشتمل على خيري الدنيا والآخرة »[1] .

المطلب الثالث : أسماء القرآن الكريم وأوصافه :

إن تعدد الأسماء دليل على عظم المُسَمَّى ، وإيماء إلى شرفه وعلوّه ورفعته .

---

(١) (القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية) شرح الطحاوية ١ / ١٧٢ (اللجنة العلمية) .

ولا ريب أن القرآن الكريم هو أعظم وأشرف كتاب ، ولذا تعددت أسماؤه وأوصافه ، وكلها مستفادة من القرآن ذاته .

ومن تلك الأسماء والأوصاف العديدة ما يلي[1]:

أ - القرآن. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ . . . ﴾ (الإسراء: ٩).

ب - الفرقان. قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : ١) .

ج - الذكر. قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر :٩).

د - الكتاب. قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ١-٢).

هـ - التنزيل. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء:١٩٢).

و - النور. قال تعالى: ﴿ . . . قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة :١٥) .

ز - الروح. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا . . . ﴾ (الشورى: ٥٢).

وغير ذلك من الأسماء والأوصاف التي ذكرها الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم ، تعظيماً لكتابه ، وتقديساً له ، وتخليداً لذكره، ولفتاً لانتباه الناس إلى أهميته وفضله وهيمنته على الكتب كلها .

(١) انظر: كتاب الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ السيوطي ١ /٦٧.

ولكن الملاحظ أنه غلب من أسمائه: القرآن والكتاب.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز يرحمه الله[1]: «روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ،أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر. وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها ﷺ بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز، إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه، حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)».

المطلب الرابع: خصائص القرآن الكريم:

يتفرد القرآن العظيم بجملة من الخصائص، والفرائد التي تميزه عن غيره من الكتب السماوية السابقة، كما ترفعه عن غيره من كتب أهل الأرض، وهذه الخصائص والفرائد والمزايا عديدة ومتنوعة، ولا يمكن حصرها في صفحات محدودة، ولكن يمكن لنا الإشارة إلى أهم تلك الخصائص، والمتمثلة فيما يلي:

(١) النبأ العظيم ، د. محمد عبد الله دراز ص ١٢-١٣.

١- أنه من عند الله :

كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٨٩) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) .

٢- أنه كلام الله تعالى :

وهذه من أخص خصائص كتاب الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : ٦) .

٣- نزوله منجماً :

والمقصود بذلك نزول القرآن الكريم مفرقاً في مدة ثلاث وعشرين سنة[١] .

أما الكتب السماوية السابقة فكانت تنزل دفعة واحدة[٢]. ومن هنا كان تعجب المشركين من عدم نزول القرآن الكريم مرة واحدة ، وهو ما حكاه الله تعالى بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان : ٣٢) .

---

(١) انظر: لمحات في علوم القرآن، لمحمد الصباغ ص ٣٢ .

(٢) انظر: كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة المقدسي ص١٣ .

٤- حفظ الله تعالى له:

وهذه الخصيصة تعني تكفل الله تعالى بحفظ كتابه من انتحال المبطلين، وادعاء المدعين، وتخرّص المكذبين، وعدم ضياعه على توالي الدهور والليالي والأيام. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «قرّر تعالى أنه هو الذي أنزل القرآن الكريم، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل»[١].

٥- هيمنته على الكتب السابقة:

والمقصود بذلك: إتيان القرآن على ما في الكتب السماوية السابقة، وشهادته عليها، واحتواؤه لفضائلها ومزاياها، وزيادته على ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ (المائدة: ٤٨).

يقول الحافظ ابن الجوزي في معنى الآية: «وأصل كلمة مهيمن مؤيمن، وترد على أربعة أنحاء:

أ - مؤتمناً على ما قبله من الكتب.

ب - وشاهداً عليها.

ج - والمصدق على ما أخبر عنها.

د - والرقيب والحافظ عليها»[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢/ ٥٤٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ٢/ ٣٧١.

٦- ختمه للكتب السابقة :

والمقصود بذلك أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولاً، فلا كتاب بعده إلى قيام الساعة ، وفي هذا دليل على خصوصيته، وأهمية العناية والاهتمام به. قال تعالى: ﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ (المائدة: ٣).

٧- إعجازه :

يمتاز القرآن العظيم بأنه كتاب معجز في كل شيء، وقد تحدى الله تعالى به العرب، وهم أهل اللغة، وأرباب البيان فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بأقل سورة منه، مع قدرتهم على نظم الكلام وتذوقهم له، وانفرادهم من بين الأمم بخصيصة القول، وعذوبته ، وجماله، وتقديرهم له، وهذا واضح في شعرهم، ونثرهم. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

٨- يسره للناس :

من الخصائص العظيمة للقرآن الكريم أنه ميسر لكل من يطلع عليه، يطلب وجه الحق والخير والصواب، وهذا التيسير القرآني يشمل عدة جوانب منه: كقراءته، وحفظه، واستذكاره، وتدبره، وتأمله، ومعرفة علومه، ومعانيه، وفقهه. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧).

٩- شموله للخلق أجمعين:

إن من فرائد القرآن العظيم أنه كتاب لجميع الخلق ، وذلك بعكس الكتب السماوية الأخرى التي كانت خاصة بأناس معينين. أما القرآن الحكيم فهو دعوة الله للناس أجمعين ، وحجته على الخلق ، ورسالته لجميع البشر .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾ (الأعراف : ١٥٨) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (القلم : ٥٢) .

١٠- تضمّنه لخيري الدنيا والآخرة:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أنَّه قد اشتمل على ما ينفع الإنسان في دنياه ، وآخرته ، فما من خيرٍ إلا ودلّه عليه ، وما من شرٍّ إلا وحذَّره منه.

قال تعالى : ﴿ . . . مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ . . . ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

المبحث الثاني
أهمية الدعوة إلى التمسّك بالقرآن الكريم

أرسل الله تعالى نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى محمدا ﷺ، بخاتمة الرسائل، وآخر الدعوات، وأنزل معه الكتاب الكريم ليكون للعالمين نذيراً، وهادياً ودليلاً، وسراجاً منيراً. وأمر الله تبارك وتعالى الناس بالتمسك بكتابه الكريم وحفظه، والعناية به، وعدم التفريط، أو التهاون فيه. قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٤٣).

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره للآية الكريمة: «يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: فتمسّك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، ﴿ ... إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام[(١)]».

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم»[(٢)].

ويقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «﴿ ... فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ ﴾: بأن تعتقد أنه حق، وبأن تعمل بموجبه،

(١) تفسير الطبري ١١ / ١٩١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٢٨.

فإنه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه إلا ضال في الدين»[1].

وقال القاسمي في تفسيره للآية الكريمة:

« ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يعني: دين الله الذي أمر به وهو الإسلام ، فإنه كامل الاستقامة من كل وجه. قال الشهاب: هذا تسلية له ﷺ وأمر لأمته أو له ، بالدوام على التمسك »[2].

ومن مجموع أقوال المفسرين للآية الكريمة، يمكننا الخلوص بالهدايات التالية:

١- أهمية الاعتقاد الصحيح في دين الإسلام، وذلك يقتضي أن تكون العقيدة الحقة بعيدة كل البعد عن الباطل والشرك والبدع.

٢- أهمية التمسك بالقرآن الكريم، الذي هو وحي الله تعالى، ورسالته العظيمة، ودعوته الباقية للناس أجمعين.

٣- أن التمسك بالقرآن العظيم يوصل -بإذن الله تعالى- إلى جنات النعيم ، والخير الدائم المقيم.

٤- أهمية العمل بالقرآن الكريم، وتطبيقه في واقع الحياة المعاش؛ فإن ذلك من أعظم الأدلة، وأوثق البراهين على صدق دعوى التمسك به.

٥- أن القرآن الكريم كامل الاستقامة من كل وجه ، خال من العيوب ، صافٍ من الكدورات ، فاستحق بذلك التمسك والعمل والإيمان به.

٦- وضوح المنهج الذي دعا به النبي ﷺ، لأنه منهج يسير على ضوء القرآن الكريم وتعاليمه.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٩ / ٦٣٤.

(٢) تفسير القاسمي ٨ / ٣٩٢.

٧- وفي الآية كذلك خطورة عدم التمسك بالقرآن الكريم ، أو الميل عنه ، وعدم الوثوق بعراه ، وأن ذلك دلالة على الشقاء والعياذ بالله .

ويقول تعالى آمراً نبيّه ﷺ بالدعوة إلى ما أمره به وأنزله عليه وهو القرآن الكريم ، وعدم اتباع الأهواء المضلة : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١٥). في هذه الآية الكريمة أمرٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ بالدعوة كما أمره وبينها له في كتابه الكريم ، والاستقامة على ذلك ، وعدم اتباع الأهواء المنحرفة والضالة.

ومن جملة ما أمره الله تعالى به: الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام السابقين له، وكذلك أمره تعالى بالعدل بين الناس .

كما أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن ينبّه الناس على مسألة هامة ضل فيها كثير من البشر، ألا وهي مسألة توحيد الله تعالى فهو سبحانه الإله والرب الذي لا شريك له، ولا ند له ، ولا كفو له. ثم أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يقول للناس بأن لكل قوم عملهم، وأنه تعالى سوف يجمع الناس ويجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

يقول الحافظ ابن كثير موضحاً تلك المعاني ومركزاً إياها في نقاط محددة: «اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشر فصول كهذه. وقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾: أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وَصَّينا به جميع المرسلين قبلك

أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه. وقوله عز وجل ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ ، أي : واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل. وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ يعني : المشركين فيما اختلقوه وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان. وقوله جل وعلا : ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ أي : صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم. وقوله : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ أي : في الحكم كما أمرني الله. وقوله : ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ أي : هو المعبود لا إله غيره فنحن نقرّ بذلك اختياراً وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعاً وإجباراً. وقوله ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ أي: نحن براء منكم .. وقوله : ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ قال مجاهد : أي لا خصومة، قال السُّدِّي : وذلك قبل نزول آية السيف، وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة. وقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يوم القيامة.. وقوله: ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي : المرجع والمآب يوم الحساب » . اهـ(١).

ويتضح لنا من خلال تفسير الآية الكريمة :

الأمر بالتمسّك بالقرآن العظيم، والاستقامة عليه، والدعوة إليه، والحذر مما يضاد ذلك كله، وهذا في الحقيقة راجع إلى أن : « القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية الشاملة للعقيدة والشريعة ، والذي

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٩ .

اشتمل على بيان العقيدة في صفائها، وعلى وضع أسس التشريع في مختلف الجوانب التي تمس حياة العباد»[1].

وكذلك اشتمل القرآن العظيم على الحقائق الكاملة التي حارت الإنسانية واختلفت فيها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل: ٧٦).

وكذلك اشتمل كتاب الله تعالى على إيضاح المنهج القويم الذي ينبغي أن يسير عليه المؤمن في حياته دون عوج أو اضطراب، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨).

كذلك تضمن كتاب الله تعالى الإخبار عن أحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاءوا به، وأمروا ونهوا عنه، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ... ﴾ (النساء: ١٦٥).

وتضمن كتاب الله تعالى -أيضاً- الوعد والوعيد، والجزاء الحاصل على الأعمال في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

(١) انظر: هذا القرآن، لعبد الحي العمراني ص ٣٢.

المبحث الثالث
مظاهر التمسّك بالقرآن الكريم

إن دعوى التمسك بالقرآن العظيم تحتاج إلى براهين تدلّ عليها، وإلى مظاهر تؤكدّها وترشد إليها.

فمن مظاهر التمسك بالقرآن الكريم ما يلي:

أولاً: الإيمان به:

ومقتضى هذا الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ووحيه إلى نبيّه محمد ﷺ، لدعوة الخلق أجمعين. كما قال تعالى: ﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ... ﴾ (الأنعام: ١٩).

كما أن من لوازم الإيمان بالقرآن الكريم الإيمان الجازم بكل ما جاء فيه، واعتقاد أنه الحق والصواب، كما قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج: ٥٤).

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية:

«﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أن القرآن هو الحق النازل من عند الله...، ﴿ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ بالقرآن أو بالله، ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ ﴾ بالانقياد والخشية، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فيما أشكل ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه»[١].

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٣.

كما أن من مقتضيات الإيمان بالقرآن الكريم : الإيمان بمتشابهه. قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران : ٧).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أمّ الكتاب، أي : بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أُخرى فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رَدَّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس »[1].

ثانياً : العمل به :

ومقتضى العمل بالقرآن، تنفيذ كل ما جاء في القرآن الكريم وذلك بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والالتزام الكامل بما دل عليه، وأرشد إليه، وعدم تجاوز ذلك أو مخالفته أو الزيادة عليه ،لأن هذا من الكذب على الله تعالى. قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل : ١١٦-١١٧).

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٤٤.

ثالثاً: قراءته وتدبره:

ومعنى ذلك المداومة على قراءة القرآن الكريم، وعدم هجره، مع تدبر معانيه، وتأمل مراميه، والعلم بعقائده، ومعرفة أحكامه، وشرائعه. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

«كان المشركون إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه»[1].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في إيضاح المقصود بهذه الآية الكريمة: «أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون كتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣١٧.

العالية والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء يحذر، ولعرِّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته، وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل. وقوله تعالى: ﴿ ... أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الإعراض والغفلة ، والاعتراض، وأقفلت ، فلا يدخلها خير أبداً»[1].

رابعاً: حفظه:

والمقصود بذلك: حفظ القرآن في الصدور والسطور من الضياع أو الزيادة أو النقص أو الإهمال .

ولا ريب أن حفظ القرآن من أفضل الأعمال وأجلها وأزكاها، وهو مظهر عظيم من مظاهر التمسك بالقرآن الكريم، ودليل على العناية والاهتمام به .

وحفظ القرآن الكريم يتطلَّب من المسلم الإخلاص لله تعالى، وتصحيح النية، وحسن التوجه والقصد، وطلب العون من الله تعالى، مع تفريغ القلب من الشواغل، وبذل الأسباب واتخاذ المسببات المعينة على الحفظ .

ولا ريب أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم بقوله سبحانه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩).

يقول الخازن في تفسير هذه الآية الكريمة ما ملخصه:

«﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ... ﴾ يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد ..، ﴿ ... وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الضمير في (له) يرجع إلى الذكر، يعني: وإنا

(١) تفسير ابن سعدي ٧ / ٨٠.

للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون، يعني: من الزيادة فيه، والنقص منه، والتغيير والتبديل والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه، أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدةً، وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد محروساً من الزيادة والنقصان...، وقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه، ويذبون عنه إلى آخر الدهر»[1].

ولا ريب أن من الوسائل المفيدة لحفظ القرآن في الصدور انتشار حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد ، وتربية الناشئة على ذلك ، وتنشئتهم عليه منذ الصغر .

ومن وسائل حفظه كذلك إنشاء المدارس ، والأقسام ، والكليات التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه ، والدراسات المتعلقة به مثل: كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، التي تقوم بدور هام وعظيم في تخريج الحفاظ العالمين، وكذا تعنى بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم كعلوم القراءات والتفسير.

أما طرق حفظ القرآن الكريم في السطور فإن وسائل الطباعة الحديثة، والتقنية العلمية المتطورة قد ساهمت في ذلك.

ومن الشواهد العظيمة للعناية بحفظ القرآن الكريم ما قامت به

(١) انظر : تفسير الخازن ٣/٤٩٦-٤٩٧ .

المملكة العربية السعودية من إنشاء (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) الذي وضع لبناته الأولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله في ١٦ من المحرم ١٤٠٣هـ بالمدينة المنورة، وبدأ الإنتاج الفعلي في ٦ صفر ١٤٠٥هـ[١]. ويقوم المجمع بطبع ملايين النسخ من المصحف الشريف طباعة صحيحة مراجعة خالية من أي عيب والحمد لله، ثم توزع في الداخل والخارج، وقد استفاد المسلمون في أقطار الأرض كافة من هذه الخدمة العظيمة، أجزل الله المثوبة لأولياء الأمور ووفقهم لخدمة كتابه العزيز.

خامساً: احترامه وتوقيره، والخشوع والإنصات عند سماع القرآن الكريم.

إن من المظاهر الدالة على التمسك بالقرآن العظيم ، احترامه وتوقيره وعدم إهانته بأي حال من الأحوال معنوياً أو قولياً أو مادياً، والإنصات عند سماع ذكر الله تعالى يتلى، والخشوع واستجماع القلب والعقل بالتفكير والتدبر والخشوع الكامل له. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«لما ذكر الله تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة ، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له ، واحتراماً»[٢] .

(١) انظر: الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٢٥٤–٢٥٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٨٠ .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله:

«هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات. والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه، ويتدبر ما يستمع. فإن من لازم على هذين الأمرين، حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه. ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما. فدلَّ ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له ولم ينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير. ومن أوكد ما يؤمر مستمع القرآن أنه يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات»[1].

سادساً: الدعوة إليه:

إن من عظيم مظاهر التمسك بالقرآن الكريم الدعوة إليه، وإلى ما تضمنه من العقائد والشرائع والأحكام والآداب والأخلاق، وإلى ما حث على النظر إليه، والتفكر فيه، وكذا إلى إخباره عن المغيبات وإلى ما كان وإلى ما سيكون، وإلى كل خير تضمّنه كتاب الله تعالى.

فالقرآن العظيم هو الكتاب الوحيد المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي ٣/١٣٨.

أي وجه من الوجوه، كما قال تعالى عنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية :

«أي : ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال: ﴿ ... تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع، محمودة عواقبه وغاياته»[١].

وقال السيد محمود الألوسي في إيضاح آخر للآية الكريمة: «هذه صفة أخرى لكتاب، وما بين يديه وما خلفه كناية عن جميع الجهات، كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله، أي لا يتطرق إليه الباطل من جميع جهاته، وفيه تمثيل لتشبيهه بشخص حمي من جميع جهاته فلا يمكن أعداؤه الوصول إليه، لأنه في حصن حصين من حماية الحق المبين، وجوز أن يكون المعنى لا يأتيه الباطل من جهة ما أخبر به من الأخبار الماضية والأمور الآتية .

وقيل: الباطل بمعنى المبطل.. أو هو مصدر كالعافية بمعنى مبطل أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ ... تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ أي: محمود على ما أسدى من النعم التي منها تنزيل الكتاب، وحمده سبحانه : بلسان الحال متحقق من كل مُنْعَم عليه، وبلسان المقال متحقق ممن وفق لذلك، خبر مبتدأ محذوف ، أو صفة أخرى لكتاب ، مفيدة لفخامته

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٢.

الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية »[1].

والمتحصل من كلام المفسرين – رحمهم الله تعالى – في معنى الآية الكريمة:

أن الله تعالى: حافظ كتابه الكريم من تطرق الباطل إليه بأي وجه من الوجوه في أي وقت من الأوقات وبأي شيء من الأشياء الباطلة الحسية أو المعنوية، فهو كتاب مصون ، محفوظ مكلوء بالعناية والرعاية الإلهية، لأنه تنزيل من الله تعالى الحكيم في كل أفعاله، الحميد في كل أموره وشؤونه .

ولا ريب أن هذا الكتاب المحفوظ المصون هو كتاب الدعوة، ومن حقوقه على كل مسلم أن يدعو الناس إليه وبه. كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

ومما فسرت به الحكمة هنا : القرآن الكريم[2].

وقد دعا ﷺ إلى كتاب الله تعالى، وإلى ما أنزل إليه فيه وأعظمه التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأجمعت الأمة وسلفها الصالح ، وخيارها ودعاتها الأبرار على هذا النهج .

سابعاً: الالتزام بمنهجه:

إن قضية الالتزام بالمنهج مهمة جداً في أي أمر من الأمور، بل وفي حياة الأمم والشعوب. قال تعالى: ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴾ (المائدة: ٤٨).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة:

(١) روح المعاني ، للألوسي ١٢ /٣٧٨-٣٧٩.

(٢) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ٤ /٥٠٦.

« قال ابن عباس: شرعة: سبيلاً، ومنهاجاً: سنة. وبه قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأبو إسحاق السبيعي». ثم قال ابن كثير رحمه الله: «فإن الشرعة -وهي الشريعة أيضاً- هي: ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا أي ابتدأ فيه، وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء .. أما المنهاج، فهو: الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق».

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله وجهاً آخر في تفسير الآية فقال: «وقيل المخاطب بهذه الآية هذه الأمة، ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجاً، أي هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ... ﴾ أي: جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجاً، أي: سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنةً، أي: طريقاً ومسلكاً واضحاً بَيِّناً».

ثم يرجح ابن كثير -رحمه الله- بين القولين بقوله: «والصحيح القول الأول»[1].

وقال الفخر الرازي في تفسيره للآية الكريمة ملخصاً أقوال العلماء: «قال بعضهم: الشرعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد، والمراد بهما الدين.

وقال آخرون: بينهما فرق، فالشرعة عبارة عن مطلق الشريعة، والطريقة عبارة عن مكارم الشريعة، وهي المراد بالمنهاج، فالشريعة أول، والطريقة آخر.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٦٦.

وقال المبرّد: الشريعة ابتداء الطريقة، والطريقة المنهاج المستمر»[1].

والحاصل أنه ينبغي للمسلم الالتزام بالمنهج القرآني في عقيدته وعبادته ومعاملته وأخلاقه وسائر شؤونه وتصرفاته ، وذلك لأنه النهج الأمثل والأعلم والأحكم والأسلم.

والمتأمل في منهج القرآن الكريم يجد الخير كل الخير، والسعادة الأبدية، والفضائل التي بحث عنها البشر فأعجزتهم، والكمالات التي تسمو بالإنسانية إلى مراتب عالية رفيعة، ناهيك عن العقيدة العظيمة، والشريعة الكاملة السوية. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨-١٩-٢٠).

ثامناً: التخلق بأخلاقه:

إن من مظاهر التمسك بكتاب الله تعالى التخلق بالأخلاق العالية التي حث عليها، والمسالك الرفيعة التي أمر بها، والصفات النبيلة التي ندب إليها.

وكتاب الله تعالى كله خير، وفضل، وخلق كريم لمن أراد التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه. وكان ﷺ صاحب الخُلق الكامل، وقد أثنى ربه تبارك وتعالى عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي ٤/ ٣٧٣.

وكانت جميع أخلاقه ﷺ مستمدة من القرآن الكريم ، فعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلقه ﷺ قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[1] .

---

(١) صحيح مسلم ١/٥١٣ كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (رقم ٧٤٦) .

المبحث الرابع
فضائل التمسّك بالقرآن الكريم

إن للتمسّك بالقرآن الكريم فضائل عديدة ، ومزايا كثيرة تجل عن الوصف، وما ذاك إلا لأن كتاب الله تعالى كله فضائل وخيرات ومكارم في الدنيا والآخرة .

فمن فضائله العديدة ما يلي :

أولاً : حصول السعادة الدائمة، لمن آمن بكتاب الله تعالى، واعتقد صحة ما فيه، وعمل به في حياته .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود : ١٠٥-١٠٨) .

ثانياً : الفوز بالرضا الكامل من الله تعالى، لمن تمسك بكتابه، والتزمه، وسلك مسلك الصالحين وخشي ربه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة : ٧-٨) .

ثالثاً : الهداية للتي هي أقوم ، والبشارة للمؤمنين ، المتبعين لهدي

القرآن، المستمسكين به. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

يقول الشيخ ابن سعدي في تفسيره للآية الكريمة:

«يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته، وأنه ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾، أي: أعدل وأعلى، من العقائد، والأعمال، والأخلاق. فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن، كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم في جميع الأمور ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الواجبات والسنن ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ أعده الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا هو سبحانه وتعالى»[1].

رابعاً: كونه شفاء وعافية ورحمة وهدى للمؤمنين. إن التمسك بكتاب الله تعالى حق التمسك يمد المؤمن بالشفاء والعافية وكذلك بالرحمة في الدنيا والآخرة.

ولا ريب أن القرآن الكريم طب القلوب والأبدان، ففيه دواء بإذن الله تعالى، وفيه شفاء وعافية لمن أخلص النيّة، وأحسن القصد، وأعظم الثقة بالله تعالى وبكتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

ففي هذه الآية الكريمة يلفت الله تعالى أنظار الناس إلى أنه: قد

---

(١) تفسير ابن سعدي ٤ / ٢٦٤.

جاءتكم موعظة من ربكم تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده، وهي القرآن وما اشتمل عليه من الآيات والعظات لإصلاح أخلاقكم وأعمالكم، وفيه دواء لما في القلوب من الجهل والشرك وسائر الأمراض، ورشد لمن اتبعه من الخلق فينجيه من الهلاك، جعله سبحانه وتعالى نعمة ورحمة للمؤمنين، وخصهم بذلك؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان، وأما الكافرون فهو عليهم عمى[1].

وقال تعالى في موضع آخر من كتابه الكريم مؤكداً شفاء كتابه الكريم لأمراض الناس وعللهم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في إيضاح المقصود بهذه الآية الكريمة:

« يقول تعالى مخبراً عن كتابه .. إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان ، والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به، وصدقه ، واتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً ، والآفة من الكافر لا من القرآن »[2].

---

(١) التفسير الميسر ص٢١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٩.

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها[1].

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[2] .

خامساً: حصول الأجر العظيم على قراءة القرآن الكريم.

إن قراءة القرآن الكريم، والمداومة عليها، مطلوبة من كل مسلم ومسلمة كما قال تعالى: ﴿ ... فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾ (المزمل: ٢٠).

ولا ريب أن المؤمن القارئ لكتاب الله تعالى سوف يحصل على الأجر العظيم والخير العميم، وله فضل على من سواه من الناس. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر،

(١) صحيح البخاري ٣ / ٣٤٤ كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (رقم ٥٠١٦).

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٣٤٤ كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (رقم ٥٠١٧).

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها[1].

ومما قاله الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: «وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دَلَّ عليه»[2].

ومن أنواع الأجر الذي يتحصل عليه قارئ القرآن أن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، وهذا فضل وخير ولطف من الله تعالى بهذه الأمة، التي هي خير الأمم .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه [3].

يقول الحافظ المباركفوري في تعليقه على المقصود بالحرف الوارد في الحديث: «والحرف يطلق على حرف الهجاء، والمعاني، والجملة المفيدة، والكلمة المختلفة في قراءتها ، وعلى مطلق الكلمة»[4].

وأما الأجر المتحصل لقارئ القرآن يوم القيامة فهو عظيم وجزيل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣ / ٣٤٥ كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام (رقم ٥٠٢٠).

(٢) فتح الباري ، لابن حجر ٨ / ٦٨٥ .

(٣) سنن الترمذي ٥ / ١٧٦ كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر (رقم ٢٩١٠)، وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي ٣ / ٩ (رقم ٢٣٢٧) .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للإمام المباركفوري ٨ / ١٨٢ .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها » . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [1] .

ومن فضائل قارئ القرآن الكريم التي ينفرد ويتميزّ بها عن الناس أنه مرافق للملائكة الكرام البررة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[2] .

يقول الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه للحديث : « السفرة، جمع سافر ككاتب، وكتبة، والسافر: الرسول، والسفرة: الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل السفرة الكتبة، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة، والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه . قال القاضي : يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أنه له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة ولاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى . قال : ويحتمل أن

---

(١) سنن الترمذي ٥ / ١٧٧ كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ (رقم ٢٩١٤)، وقال الشيخ الألباني : حسن صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي ٣ / ١٠ (رقم ٢٣٢٩) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١ / ٥٤٩-٥٥٠ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه (رقم ٧٩٨)، ورواه الترمذي في سننه ٥ / ١٧١ كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن (رقم ٢٩٠٤)، وقال الشيخ الألباني : صحيح . انظر: صحيح سنن الترمذي ٣ / ٩ (رقم ٢٣٢٥) .

يراد أنه عامل بعملهم ، وسالك مسلكهم، وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران، أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته. قال القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به ، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم»[١].

سادساً: خيرية من تعلّم القرآن وعلمه.

إن في تعلّم القرآن الكريم وتعليمه خيراً كثيراً، وفضلاً جزيلاً وذلك لما يعود على العالم والمتعلم من الأجر والمثوبة.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». ورواية أخرى: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[٢].

يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث: «يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط، بل من أشرف العمل تعليم الغير، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه، وتعليمه لغيره

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٨٤-٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٤٦-٣٤٧ كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (رقم ٥٠٢٧-٥٠٢٨).

عمل وتحصيل نفع متعد، ولا يقال لو كان المعنى حول النفع المتعدي لاشترك كل من علم غيره علماً ما في ذلك، لأنا نقول القرآن أشرف العلوم فيكون مَنْ تعَلَّمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه فيثبت المدعى. ولا شك أن الجامع بين تعلّم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣) والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع ...» إلى أن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«ويحتمل أن تكون الخيرية -وإن أطلقت- مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد خير المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية لأن القرآن خير الكلام فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن، وكيفما كان فهو مخصوص بمن علم وتعلم بحيث يكون قد علم ما يجب عليه عيناً»(١).

وقد كان سلف الأمة الصالح يتعاهدون القرآن الكريم علماً وتعلّماً وتعليماً، وكانت لهم في ذلك عناية ورعاية خاصة، ومن آثارهم الدالة على ذلك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله تبارك وتعالى القرآن»(٢).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ٦٩٤.

(٢) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام ١ / ٢٤١، وانظر الأثر في سنن الدارمي ٢ / ٨٩١.

وعن الأعمش قال: مر أعرابي بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو يقرئ قوماً القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ فقال ابن مسعود: يقتسمون ميراث محمد ﷺ[١].

وعن عمرو بن قيس السكوني قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – يقول: عليكم بالقرآن، فتعلموه وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون وكفى به واعظاً لمن عقل[٢].

ومن آثار السلف الصالح الدالة على حث الناس على تعلم القرآن وتعليمه ومن ثم حصول الأجر والخير والمثوبة قول كعب: عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهداً، وقال في التوراة: يا محمد، إني منزل عليك توراة حديثة، تفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صُماً، وقلوباً غُلفاً[٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن لكم ذكراً، وكائن عليكم وزراً، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة ، ومن أتبعه القرآن يَزُخُّ في قفاه ، فيقذفه في جهنم[٤].

---

(١) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ١ / ٢٤١ .

(٢) المصدر السابق ١ /٢٤٣ .

(٣) سنن الدارمي ٢ / ٨٩١ .

(٤) سنن الدارمي ٢ /٨٩٢ . ، ومعنى يزخ : يدفع .

الفصل الثاني
آثار التمسّك بالقرآن الكريم في حياة المسلمين

ويتضمن ستة مباحث:

المبحث الأول: الأثر الإيماني والتعبدي.

المبحث الثاني: الأثر الدعوي والإصلاحي.

المبحث الثالث: الأثر الخلقي والمسلكي.

المبحث الرابع: الأثر العلمي والفكري.

المبحث الخامس: الأثر الإنساني والحضاري.

المبحث السادس: الأثر الأمني الشامل.

المبحث الأول
الأثر الإيماني والتعبدي

للقرآن الكريم آثاره العظيمة في المجتمع المسلم ، ولعل أعظم ذلك الأثر الإيماني والأثر التعبدي.

والمتأمل في أحوال الجاهلية وما كانت عليه من شرك ، وظلم ، وفساد في المعتقد ، وعكوف على الأصنام والأوثان والأحجار ، يدرك مدى ما كان عليه أولئك الناس من ضلال مبين.

وهو ما ذكره الله تعالى في معرض امتنانه على هذه الأمة بقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢).

والإيمان الذي نعنيه هو: الاعتقاد بالجنان، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح والأركان[1].

وهو كما يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: « هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله، والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعةرسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، وتغميض عين

(١) انظر: الإيمان، للإمام ابن تيمية ص ١٦٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص ٣٣١ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ /٤٢٦ .

القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله»[1].

وقد أكد الله تعالى الإيمان وبين أهميته ولوازمه في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ... ﴾ (البقرة : ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات : ١٥).

وفي حديث جبريل – المشهور – الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان بقوله: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال : صدقت ... الحديث[2].

ومعلوم أمر النقلة الإيمانية العظيمة التي أحدثها القرآن الكريم في نفوس المسلمين، فانقاد الناس لتوحيد رب العالمين، وانغرست في قلوبهم معاني الخير للناس أجمعين.

كذلك أثمر الإيمان في نفوس الناس التقوى والإخبات لله تعالى، والخوف والخشية منه، ومراقبته تعالى في السر والعلن، فكان لذلك الأمر نتائجه العظيمة في صلاح الناس واستقامة أحوالهم.

---

(١) الفوائد ، للإمام ابن القيم ص ١٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ١ /٣٦ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرّي ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه (رقم ١).

وأما الأثر التعبدي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم فهو بلا شك أثر عظيم وكبير وذو فوائد جَمَّة عديدة.

والعبادة التي نعنيها ليست قاصرة على نوع محدد من العبادات بل هي شاملة لكل ما يطلق عليه اسم العبادة.

وهي كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[1].

والعبادة تستغرق جميع أحوال المسلم وتصرفاته، فكل قصد وقول وعمل يريد به المسلم طاعة الله تعالى فهو عبادة، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ... ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

والعبادة المطلوبة شرعاً هي التي تكون خالصة لله تعالى، صالحة، بعيدة عن الشرك، مقتفية أثر النبي ﷺ وملتزمة بمنهجه. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ... ﴾ (الزمر: ٢-٣)، وقال تعالى: ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

---

(١) العبودية، للإمام ابن تيمية ص ٣٨.

المبحث الثاني
الأثر الدَّعوي والإصلاحي

إن من آثار القرآن العظيمة في المجتمع: أثره في دعوة الناس إلى الله تعالى، وإصلاحهم في مختلف المجالات الاجتماعية والحياتية. والدعوة إلى الله تعالى لا تقتصر على أمر معين بل ينتظم فيها كل ما يهم المسلم في دينه ودنياه، وبمعنى آخر: تعدُّ الدعوة صياغة جديدة لحياة المسلم، مبناها على التوحيد الخالص لله تعالى، والالتزام بشرعه، والتمسك بأمره والابتعاد عن نهيه.

ومن هنا كانت النقلة النوعية العظيمة في حياة المجتمعات الإنسانية حينما ابتدأت الدعوة الإسلامية وظهرت وانتشرت. فدخل الناس في دين الله أفواجاً، واستقامت حياتهم على الحق والخير والهدى والصلاح.

قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١)، ودعوة الناس وإصلاحهم وإرشادهم هي وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ... ﴾ (النحل: ٣٦).

والداعية الموفق هو الذي يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبعيد كل البعد عن الإساءة أو الغلظة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

كما أن الدعوة ينبغي أن تسير على المنهج الإيماني القويم، والسبيل النبوي الكريم، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والداعية إلى الله تعالى ينبغي أن يكون واضحاً كالكتاب المقروء وأن لا يخالف قوله فعله، وأن يسلك بالناس المسالك الصالحة الحميدة، كما قال تعالى واصفاً حال شعيب عليه السلام مع قومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: ٨٨).

ولا ريب أن الأثر الدعوي والإصلاحي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم أثر عظيم وكبير، ليس فقط في داخل الأمة الإسلامية، بل وتأثرت به المجتمعات الإنسانية الأخرى. وأصبحت تلك المجتمعات تنظر إلى المسلمين نظرة الإعزاز والتقدير، وتتمنى أن تصل إلى ما وصل إليه المسلمون في حياتهم وشؤونهم الخاصة والعامة.

المبحث الثالث
الأثر الخلقي والمسلكي

للخلق والمسلك الحسن أهمية كبرى في حياة أي مجتمع من المجتمعات. وقد أوضح كتاب الله تعالى الأخلاق والمسالك الحميدة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم، سواء في ألفاظه، أو أعماله، أو تصرفاته، أو طباعه، أو معاملته مع الآخرين.

ولا ريب أن حالة المجتمعات قبل الإسلام حالة يرثى لها في التدني الخلقي، والانحراف المسلكي، والانحطاط الاجتماعي، وهو ما يوضحه قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة حينما سأله عن الدين الذي من أجله فارقوا قومهم وأهليهم. فقال له جعفر: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منَّا الضّعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام..[1].

---

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لابن هشام ١/٣٥٨.

والحقيقة أن أخلاق القرآن العالية، ومسالكه الرفيعة تجل عن الوصف، فما من خلق كريم إلا ودل القرآن عليه، وما من مسلك جميل إلا وأرشد القرآن إليه.

ومن هنا كانت المنظومة الاجتماعية القوية التي أرسى دعائمها القرآن الكريم، وأحاطها بسياج من الخلق والأدب الرفيع، والتعامل الذي لا يوجد له مثيل.

ومن الأمثلة القرآنية على الأخلاق والمسالك الفردية والجماعية، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الحجرات: ١١-١٢).

وقال تعالى معدداً بعض أوصاف المؤمنين الصادقين وأخلاقهم: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون: ١-٩).

وقال تعالى مبيناً آداب الاستئذان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (النور: ٢٧-٢٨).

وقال تعالى منبهاً على ما يجب أن يتصف به المؤمنون والمؤمنات من أخلاق ومسالك عالية رفيعة: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (النور: ٣٠-٣١).

ومن الأخلاق القرآنية العظيمة الخاصة بالمؤمنين، قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ

ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ
إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا
تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٣-٧٦).

المبحث الرابع
الأثر العلمي والفكري

أول ما نزل على قلب رسول الله ﷺ، قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١-٥) .

ومنذ نزول تلك الآيات المباركات طويت صفحات، وابتدأت صفحات في تاريخ الإنسانية جمعاء. طويت صفحات الجهل والخرافة والوهم والتخلف العلمي والعقلي والفكري، وابتدأت صفحات من نور العلم والمعرفة والعقل والفكر الصحيح .

ولا ريب أن المتأمل في أحوال المجتمعات البشرية قبل الإسلام وما بعده يدرك صحة هذا القول .

وكتاب الله تعالى قد تضمّن الإشارة إلى أهمية العلم، وتميز العالم، والهدف من التفكير الصحيح .

قال تعالى : ﴿ ... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ (المجادلة : ١١) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه : ١١٤) .

وقال تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ... ﴾ (فاطر : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ (الزمر : ٩) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم: ٨).

كما تضمّن كتاب الله تعالى الإشارة إلى بعض الحقائق العلمية التي سيقت مساق الهداية، كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ... ﴾ (الحجر: ٢٢).

وقد أثبت العلم الحديث أن من وسائل تلقيح النبات الرياح، لأنها تنقل الملقحات من عضو التذكير النباتي إلى عضو التأنيث النباتي[1].

ومن الآيات التي فيها إشارة علمية كذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

وتشير هذه الآية الكريمة إلى ظاهرة نقصان الأوكسجين في طبقات الجو العليا، فيتأثر الجسم نتيجة ذلك، وقد أثبت العلم الحديث أنه كلما ارتفعنا في الجو قَلَّ الضغط الجوي، وبالتالي الضغط الجوي للأوكسجين.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ص ٢٧٢.

ويعد عنصر الأوكسجين أهم عناصر الهواء المستنشق الذي يتركب من الآتي: ٢٠,٩٥ ٪ غاز الأوكسجين.

٧٨,٠٩ ٪ غاز النيتروجين.

٠٠,٠٣ ٪ غاز ثاني أوكسيد الكربون.

الباقي: غازات غير هامة لوظائف الجسم.

وأما ظاهرة (الحرج) الواردة في الآية الكريمة فهو الذي يمثله الارتفاع الذي يهبط فيه الضغط إلى ٨٧مم/زئبق والبالغ ٥٠,٠٠٠ قدم وهنا حتى استنشاق الأوكسجين الصافي ١٠٠ ٪ لا يفي بتاتاً بحاجة الجسم من الأوكسجين.

ويقسم العلماء مراحل أعراض ظاهرة نقص الأوكسجين إلى أربع مراحل تتعلق بالضغط الجوي ومستوى الارتفاع، ونسبة تركيز الأوكسجين في الدم وهي:

١- مرحلة عدم التغيير (من مستوى سطح البحر إلى الارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم) وفي هذه المرحلة لا توجد أعراض لنقص الأوكسجين، ولا تتأثر الرؤية بالنهار.

٢- مرحلة التكافؤ (الفسيولوجي) (من ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم إلى ١٦,٠٠٠ قدم) وتعمل أجهزة التكافؤ (الفسيولوجي) في هذه المرحلة على عدم ظهور أعراض نقص الأوكسجين إلا إذا طالت مدة التعرض لهذا النقص، أو قام الفرد بمجهود جسماني في هذه الظروف فتبدأ عملية التنفس في الازدياد عدداً وعمقاً، ويزيد النبض، وضغط الدم، وكذلك سرعة الدورة الدموية.

٣- مرحلة الاختلال (الفسيولوجي) (من ارتفاع ١٦,٠٠٠ قدم إلى ٢٥,٠٠٠ قدم) وفي هذه المرحلة لا تفي أجهزة التكافؤ (الفسيولوجي) بالمطلوب، ولا تستطيع توريد الكمية الكافية من الأوكسجين للأنسجة، وهنا يبدأ ظهور الأعراض. وفي هذه المرحلة نجد تفسيراً واضحاً لضيق الصدر الذي يشعر به الإنسان عندما يصعد إلى هذه الارتفاعات، كما يحدث عند الطيارين وغيرهم.

٤- المرحلة الحرجة من ارتفاع (٢٥٠٠٠ قدم فأعلى) وفي هذه المرحلة يفقد الإنسان الوعي تماماً بسبب فشل الجهاز العصبي. وهذه الحقائق العلمية الواردة في الآية الكريمة لم يصل إليها العلماء إلا بعد اجتهادات وأبحاث دامت عشرات السنين[١].

ولا ريب أن كتاب الله تعالى قد تضمّن العديد من الآيات الكريمة التي أشارت إلى حقائق وركائز علمية في هذا الكون، بشكل محكم «وإن سوق القرآن الكريم لهذه الحقائق وبهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية يحمل كل صاحب عقل منصف إلى القول بأن هذا تنزيل من العزيز الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً»[٢].

ومن هنا ندرك مدى قوة النهضة العلمية والفكرية التي أحدثها القرآن الكريم في حياة المسلمين، وفي مختلف مجالات العلم والمعرفة والفكر[٣].

---

(١) انظر: تأملات في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. صلاح الدين المغربي وآخرين ص ١٤-١٩ بتصرف يسير.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم ص ٢١٩.

(٣) انظر: حول ذلك في كتاب: الإيمان بالله وأثره في الحياة، د. عبد المجيد عمر النجار ص ١٨٥-١٩١.

المبحث الخامس
الأثر الإنساني والحضاري

إن من آثار القرآن العظيم في المجتمع المسلم تقرير مفهوم الإنسان وأصله ومبدئه وحقيقته، وحقوقه وواجباته، وكيف يبني حضارته على وجه هذه الأرض وما ضوابطها.

ولا شك أن للقرآن العظيم منهجه المتميز في ذلك، وله وسائله وأساليبه وطرقه في تقرير تلك الحقائق والأمور.

وبنظرة إلى حالة العرب، بل وإلى المجتمعات الإنسانية قبل نزول القرآن الكريم تتضح مدى ما كانت تعانيه من إهدار لكرامة الإنسان، ووأد له، ومصادرة لحقوقه، بل وجعله من ضمن المتاع الذي يورث. ولا يبعد عن ذلك ما تعانيه البشرية اليوم في كثير من مجتمعاتها -التي لم تهتد بكتاب الله تعالى- من انحراف في فهم الوجود الإنساني، ومن تضييع لكرامته ونتيجة لذلك حاولت تلك الأمم أن تقرّر شيئاً من حقوق الإنسان فاجتمعت وأصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في عام ١٩٤٨م[١].

والتساؤل: هل كان لذلك القانون أثر في حفظ الكرامة الإنسانية في العالم المعاصر اليوم؟ وهل كفل للإنسانية المعذبة الحياة اللائقة بها؟ بل

---

(١) العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم، حمزة إبراهيم فودة ص ١٤.

هل كفل لها أدنى متطلبات الإنسان؟.

والجواب عن ذلك: أن الحالة السيئة التي تعيشها الإنسانية اليوم وفي ظل تلك القوانين والأعراف تنبئ عن حالها، وأن الواقع المشاهد المحسوس يغني عن كثير من الكلام.

أما كتاب الله تعالى فله الأثر العظيم البالغ في تقرير حقوق الإنسان وهو ما طبقه المسلمون واقعاً في تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً.

يقول الله تعالى مبيناً أولاً حقيقة الوجود الإنساني: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩).

وفي مجال بيان التكريم الإلهي لهذا الإنسان يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

وفي مجال مسؤولية الإنسان عن نفسه وعمله يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨).

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٨-٣٩).

وفي مجال المساواة الحقيقية بين البشر يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقال تعالى في مجال العدل بين الناس: ﴿ ... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ... ﴾ (النساء: ٥٨).

وقوله سبحانه ﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ... ﴾ (المائدة: ٨).

إلى غير ذلك من الحقوق الإنسانية التي أقرها القرآن الكريم للإنسان والتي عجزت النظم الوضعية عن مجاراتها أو الإتيان بمثلها.

كما قرر القرآن الكريم أن الحضارة الإنسانية ينبغي أن تؤسس على تقوى، وهدى من الله تعالى، وأن تكون وفق منهج الله تعالى ومراده لا للمباهاة أو المراءاة أو البطر والأشر.

قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام مع قومه وتذكيره لهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الشعراء: ١٢٨-١٣١).

وخلاصة القول: أن القرآن العظيم قد رسم للإنسانية منهجاً واضحاً في حياتها، وبين لها كل ما يهمها، وما ينبغي أن تسير عليه وتبني عليه علاقاتها وحضارتها فكان منهجاً متميزاً أثمر عن كل خير وفضل للإنسانية جمعاء.

المبحث السادس
الأثر الأمني الشامل

يعيش الإنسان على هذه الأرض ويتقلب في مناكبها ، ويسعى بين جنباتها ، وقد يعرض له ما يخيفه ويحذر منه ، ونتيجةً لذلك أصبح الأمن مطلباً ضرورياً للإنسان في حياته .

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم قد كفل للإنسان أمنه وطمأنينته في حياته الدنيا ، وفي حياته الأخرى .

والأمن الذي نادى به القرآن الكريم شامل وكامل في حياة الإنسان، «ولا يتوفر الأمن بمجرد ضمانه لحياة الإنسان فحسب، بل هو يحتاج إلى الأمن على عقيدته التي يؤمن بها، وعلى هويته الفكرية والثقافية، وعلى موارد حياته الاقتصادية والمادية»[1].

يقول تعالى ممتناً على قريش بما هيأه لها من الأمن دون سائر القبائل، وليكون ذلك داعياً لها إلى عبادة الله تعالى وتوحيده: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (قريش : ٣-٤).

وقال تعالى مبيناً أن الأمن الحقيقي يكون لمن آمن به ووحده ولم يخلط إيمانه بشرك، وأن غير ذلك من الأمن تبع له ، ويتضح ذلك في معرض قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ

---

(١) انظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، د. عبد الله التركي ص ٨ .

يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٠-٨٢) .

ويبين القرآن العظيم أن الأمن الحقيقي والدائم هو ما يكون يوم القيامة من دخول المؤمنين الجنة كما في قوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر : ٤٦) .

أما في هذه الحياة الدنيا فإن الإنسان يتقلّب بين أمن وخوف، ولكن في الحقيقة لا أمن ولا طمأنينة له إلا بالاعتصام بكتاب الله الكريم، والإيمان به وعبادته سبحانه دون شريك له كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥) .

وقال تعالى منبهاً على خصوصية لبيته الحرام وهي خاصية الأمن دون سواه من البيوت : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا . . . ﴾ (البقرة : ١٢٥) .

كما بين تعالى أنَّ من دخل بيته الكريم فهو آمن، كما قال تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ . . . ﴾ (آل عمران : ٩٧) .

وبعد أن بين الله تعالى أسباب الأمن الحقيقية في كتابه الكريم حذّر من مغبّة اخترامها، والاعتداء على حقوق الله تعالى، وحقوق الناس، وأن ذلك مدعاة للخراب والخوف والدمار، كما قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل : ١١٢) .

ومن الوسائل العظيمة التي شرعها القرآن الكريم كي يعم الأمن وتقوم الحياة على منهاج آمن صحيح: الحدود الشرعية، وتنفيذ أحكام الله تعالى بين الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة :١٧٩).

ولا ريب أن تشريعات القرآن العظيمة قد كفلت الأمن والسعادة للإنسان في حياته الدنيا وحياته الآخرة ، فكان التميّز القرآني المجيد على غيره من النظم والقوانين الوضعية ، والتي باتت ترنو إلى شيء من آثار القرآن الكريم وتشريعاته العالية الرفيعة.

الخاتمة

استعرضنا في الصفحات السابقة موضوع (الدعوة إلى التمسّك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين)، وقد تكلمنا في عدة نقاط: كالتعريف بالقرآن الكريم، وأسمائه، وخصائصه، وأهمية الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم، ومظاهر التمسك بالقرآن الكريم، وفضائل ذلك، ثم تحدثنا عن آثار التمسك بالقرآن الكريم في حياة المسلمين، وهي بلا شك عديدة ولكن ركزنا الحديث في الأثر الإيماني والتعبدي، والأثر الدعوي والإصلاحي، والأثر الخلقي والمسلكي، والأثر العلمي والفكري، والأثر الإنساني والحضاري، والأثر الأمني الشامل.

وحقيقة الأمر، فإن آثار القرآن العظيمة أكبر وأجل من أن تحصى لأنها آثار ذات جوانب عديدة، ومتعلقات كثيرة.

والذي أود التركيز عليه والتنبيه عليه هو: ما ينبغي لكل مسلم ومسلمة من التمسك بكتاب الله تعالى والعناية به وعدم هجره، والامتثال لأمره ، والاجتناب عن نهيه .

كما أود أن أوصي نفسي وإخواني الدعاة بضرورة الاهتمام بكتاب الله تعالى، وجعله منطلق الدعوة، ورائدها، ومحور ارتكازها واعتمادها.

وإذا كان لي من اقتراح فإنني أود اقتراح الأمور الآتية:

أولاً: تكثيف الدراسات القرآنية في مراحل التعليم المختلفة حتى الدراسات العليا .

ثانياً: الاهتمام بعلوم القرآن الكريم والدراسات المتعلقة بذلك.

ثالثاً: بيان أحكام القرآن الكريم ومزاياه وفضائله ونشره على الناس.

رابعاً: إطلاع العالم غير الإسلامي على جوانب من كتاب الله ودعوتهم للإيمان به.

خامساً: إنشاء المراكز القرآنية المتخصصة في العالم الإسلامي، وعقد الندوات المفيدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً:

١- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ٤ (مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٧هـ).

٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد ابن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزّو عناية، ط ١ (دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٩هـ).

٣- إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني، على حاشية الإتقان للسيوطي، الطبعة الرابعة (مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٧هـ).

٤- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ١٤١٧هـ).

٥- الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان، ط ٢ (دار بلنسية، الرياض ١٤٢٠هـ).

٦- الإيمان، للإمام ابن تيمية، ط ٣ (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ).

٧- الإيمان بالله وأثره في الحياة، د. عبد المجيد عمر النجار، ط ١، (دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧م).

٨- تأملات في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. صلاح الدين المغربي وآخرون، ط ١ (دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٤هـ).

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للحافظ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (دار الكتب العلمية ، بيروت).

١٠- التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ط ٣ (دار الشروق، بيروت ، ١٣٩٩هـ).

١١- التعريفات ، للشريف علي بن محمد الجرجاني، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٣هـ).

١٢- تفسير ابن سعدي (المسمى : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (نشر مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، ١٤٠٧هـ) .

١٣- تفسير البيضاوي (المسمى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط ١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ).

١٤-تفسير الخازن (المسمى : لباب التأويل في معاني التنزيل) للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ط ١ ، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ) .

١٥- تفسير الطبري (المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ١ (دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٢هـ).

١٦- تفسير القاسمي (المسمى : محاسن التأويل) للإمام محمد جمال الدين القاسمي، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ) .

١٧- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ) .

١٨- التفسير الكبير (المسمى : مفاتيح الغيب)، للإمام الرازي، ط ١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٥هـ) .

١٩- التفسير الميسّر، إعداد نخبة من العلماء، بإشراف د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي (إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية ، ١٤١٩هـ) .

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للسيد محمود الألوسي البغدادي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية، ط ١ (دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ) .

٢١- زاد المسير في علم التفسير، للحافظ ابن الجوزي ، ط ٣ (المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٤٠٤هـ) .

٢٢- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، ط ٢ (مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٣٩٨هـ) .

٢٣- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ط ٣ (دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ) .

٢٤- سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، بتعليق الشيخ محيي الدين عبد الحميد (توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، وتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني/ ط ٨ (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ).

٢٦- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط ٢ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ).

٢٧- صحيح البخاري (المسمى: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول ﷺ وسننه وأيامه) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بتحقيق محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ونشر ومراجعة قصي محب الدين الخطيب، ط١ (المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٤٠٠هـ).

٢٨- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ١ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ).

٢٩- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة).

٣٠- العبودية، للإمام ابن تيمية، ط٦ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ).

٣١- العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم، حمزة إبراهيم فودة، ط ١ (مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٣هـ).

٣٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، بتصحيح محب الدين الخطيب، ط ١ (دار الريَّان، القاهرة، ١٤٠٧هـ).

٣٣- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، دراسة وتحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي (مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٤١٥هـ).

٣٤- الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية، تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش، ط ٦ (دار النفائس، بيروت ، ١٤٠٥هـ).

٣٥- الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، د. عبد العال سالم مكرم، ط ١(مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ).

٣٦- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، لمحمد الصباغ (المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٣٩٤هـ).

٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للشيخ محمدالسفاريني الحنبلي، ط ٣ (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ).

٣٨- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ط ١ (دار المنارة جدة ، ١٤٠٨هـ) .

٣٩- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ط ٨ (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ).

٤٠- معجم لغة الفقهاء، د. محمد قلعجي وزميله، ط٢(دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٨هـ).

٤١- مدخل إلى علوم القرآن وتفسيره، د. فاروق حمادة ، ط ١ (مكتبة المعارف، الرباط - المغرب ، ١٣٩٩هـ) .

٤٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لشهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، بتحقيق طيارآقولاج. (دار صادر، بيروت ، ١٣٩٥هـ).

٤٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (دار الفكر، بيروت، بدون) .

٤٤- النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، ط ٢ (دار القلم، الكويت، ١٣٩٠هـ) .

٤٥- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة، د. محمد الحسين أبو سم، (سلسلة دعوة الحق، السنة ٨، العدد ٨٨، ١٤٠٩هـ ، إصدار رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة) .

٤٦- هذا القرآن، لعبد الحي العمراني (مطابع فضالة المحمدية-المغرب، ١٤٠٣هـ).

الفهرس